# إشكالية مفهوم المواطنة في الفكر الديني اليهودي وتداعياته على الفكر الصهيوني (دراسة تاريخية تحليلية)

# مجيد جاسم محمد أحمد الشعيبي \*

# ملخص

يُعد مفهوم المواطنة من المفاهيم التي نالت حيزاً كبيراً من اهتمام المثقفين والمفكرين في العالم الغربي، وتم تداوله كثيراً من قبل الكتاب والمفكرين الصهاينة، على اعتبار أنه يمثل نواة الدولة الصهيونية ومؤشر على تحول الكيان الصهيوني إلى دولة لكل مواطنيها. فقد ساهمت الأحداث والتطورات السياسية الجارية في الشرق الأوسط خلال المدة المعاصرة، بتحفيز الصهاينة من أجل الحصول على اعتراف عربي ودولي بدولة إسرائيل كدولة جامعة اليهود، وذلك طبعاً على حساب حقوق الشعب الفلسطيني؛ فأصبح الحديث عن مفهوم المواطنة وعلاقته بالسلطة والدولة من الأمور البالغة الأهمية لدى المفكرين الصهاينة. من هنا تأتي أهمية بحث مفهوم المواطنة وتداعياته على الساحة الصهيونية في هذه اللحظة التاريخية، التي تشهد تصاعد الأصوات المنادية بضرورة تجديد وتحديث مفهوم المواطنة في الكيان الصهيوني، في دعوة إلى ترتيب أوضاع الصهاينة في إطار جديد – قديم يقوم على تجديد مفهوم المواطنة.

الكلمات الدالة: إشكالية ، مفهوم ، المواطنة، الفكر ، الديني ، اليهودي ، الصهيوني.

# اختصارات أسماء أسفار العهد القديم المستخدمة في البحث:

تك: التكوين

خر: خروج

تث: التثنية

#### المقدمة

تُعد "المواطنة" من المفاهيم المتداولة في الأدبيات السياسية المعاصرة، إذ لا يخلو خطاب منها، وكأنها لازمة ضرورية تُظهر حداثة المتكلم ومراعاته للغة العصر، حتى يخال المراقب أن هذا المفهوم يحمل في طياته وصفة سحرية إذا ما طُبقت ستكون قادرة على تغيير واقع المجتمعات الإنسانية؛ هذا بالرغم من أن هذا المفهوم، كما يرى الكثير, هو وليد تجربة خاصة عاشتها المجتمعات الغربية وهي تحمل في طياتها صورة ذلك الصراع الحاد، الذي نشب في فترة من الفترات بين رجال الدين والإقطاع من جهة، والمجتمع من جهة أخرى.

لقد أخذ مفهوم "المواطنة" حيزاً كبيراً من اهتمام المثقفين والمفكرين الغربيين، وتم تداوله في أدبيات الفكر الغربي بشيء من الإسهاب، ونوقش هذا المفهوم باستفاضة أيضاً من قبل الكتاب والمفكرين الصهاينة، على اعتبار أنه يمثل نواة الدولة الصهيونية ومؤشر قوي على تحول الكيان الصهيوني إلى دولة جامعة لكل مواطنيها.

من هنا تأتي أهمية هذه الدراسة في تناولها لهذا المفهوم في الفكر اليهودي الصهيوني وتداعياته في هذه اللحظة التاريخية، التي تشهد محاولات متزايدة من قبل قادة الفكر الصهيوني من أجل تجديد مفهوم المواطنة وعلاقته بالسلطة والدولة في إطار جديد يدعم تطلعاتهم بالحصول على اعتزاف عربي ودولي بدولة اليهود(إسرائيل) كدولة جامعة لليهود، وذلك بالطبع على حساب حقوق الشعب الفلسطيني.

# أهداف الدراسة:

يحاول الباحث في هذه الدراسة أن يجيب عن الأسئلة الآتية:

1- هل أن التشريع اليهودي كان قائم على أساس مفهوم المواطنة؟ أم أنه قائم على أساس الفصل والتمييز بين اليهود وبين

<sup>\*</sup> وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الأنبار، كلية التربية للبنات، العراق. تاريخ استلام البحث 2020/1/10، وتاريخ قبوله 20/6/2

غيرهم من الشعوب الأخرى التي عاشوا بين ظهرانيها؟

2- ما مدى تقبل الرؤية اليهودية ومن بعدها الرؤية الصهيونية لفكرة المواطنة بمفهومها الحديث ؟

# أهمية الدراسة:

تدخل هذه الدراسة في مجال دراسة تاريخ الأديان على المستوين التاريخي والفكري وهو مجال يستحق الاهتمام والخوض فيه ودراسته واستجلاء جوانبه المختلفة ؛ وربما يكشف هذا البحث عن مدى تقبل اليهود عبر تاريخهم الطويل لفكرة المواطنة والتعايش السلمي مع الآخرين، كما يكشف أيضاً كيفية توظيف الصهيونية لهذا المفهوم بما يخدم تطلعاتها السياسية.

## منهجية الدراسة:

يقوم منهج الدراسة في هذا البحث على استخدام المنهج التاريخي، الذي يساعد على وصف ما مضى من وقائع وأحداث يسجلها ويفسرها استناداً على أسس علمية بغية الوصول إلى نتائج تساعد في فهم الماضي والحاضر والتنبؤ بالمستقبل.

# إشكالية الدراسة:

لا شك أنه نتيجة عدم تعدد أو تنوع مصادر التاريخ القديم للجماعة اليهودية وانحسارها في مصدر وحيد وهو العهد القديم (الكتاب المقدس لدى اليهود)، وجدنا لزاماً علينا تتبع مفهوم المواطنة في ثنايا العهد القديم كي نتعرف على مدى تقبل اليهود عبر التاريخ القديم لهذا المفهوم، ومن ثم إلقاء نظرة على الآلية التي اعتمدتها الصهيونية الحديثة في استخدام هذا المفهوم في تعاملها مع بقية الشعوب الأخرى من خلال استنادها على الموروث الديني القديم.

#### خطة الدراسة:

المحور الأول: مفهوم المواطنة في اللغة والاصطلاح والتاريخ:

أولاً: مفهوم المواطنة في اللغة والاصطلاح:

ثانياً: مفهوم المواطنة في التاريخ:

المحور الثاني: المواطنة في الفكر الديني اليهودي:

المحور الثالث: المواطنة في الفكر الصهيوني:

الخاتمة:

نتائج الدراسة:

المصادر والمراجع باللغة العربية والعبرية والإنجليزية:

المحور الأول: مفهوم المواطنة في اللغة والاصطلاح والتاريخ:

# أولاً: مفهوم المواطنة في اللغة والاصطلاح:

ورد لفظ "المواطنة" في المعاجم العربية على أنه – مصدر الفعل "واطن" على وزن (فاعل)، والذي يأتي بمعنى "شارك في المكان إقامة ومولداً ؛ وهو مصدر رباعي مشتق من فعل "وطنَ على الأمر: أضمر أن يفعله معه" كما يدل على المشاركة والمداومة والاستمرار ؛ ومن ملفوظات المواطنة أيضاً "وطن يطن وطناً: أقام فيه, ووطن نفسه على الأمر ؛ واستوطن البلد: اتخذها وطناً. و "المواطن"؛ و "المواطن" من يقيم معك في الوطن.(1)

وورد مفهوم "المواطنة" في المعاجم العبرية بلفظ "אֶזְרֶחוֹת", والمقصود به "معرفة حقوق وواجبات المواطن في داخل وطنه"؛ بينما ورد مصطلح "אֶזְרָח" ليشير إلى المواطن الذي يحمل جنسية البلد الذي ولد فيه.(2)

أمّا " المواطنة" في الاصطلاح، فهي صفة المواطن التي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية. وتتميز المواطنة بنوع خاص من ولاء المواطن لوطنه وخدمته في أوقات السلم والحرب، والتعاون مع المواطنين الآخرين عن طريق العمل المؤسساتي والفردي الرسمي

<sup>1</sup> اليسوعي (لويس معلوف)، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، الطبعة 21، بيروت، 1973 م، ص 906؛ وانظر ايضاً: ابن منظور، لسان العرب، العرب، العرب، بيروت (13 الجزء: ( 13)إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت (د.ت)، ص451.

<sup>.24</sup> אביב, תש"ך, עמ' אביר, הדפסה עשירית, תל אביב, עמ'ך, עמ' -  $^2$ 

<sup>-</sup> שגיב(דוד), מילון עברי – ערבי לשפה העברית בת זמנו, כרך ראשון,הוצאת שוקן, ירושלים ותל אביב, תשנ"א(1990), עמ' 44-44

والتطوعي بغية تحقيق الأهداف التي يصبو لها الجميع وتوحّد من أجلها الجهود وتُرسم الخطط وتوضع الموازنات؛ أمّا "الوطنية" فهي تعني "حب الوطن" في إشارة واضحة إلى مشاعر الحب والارتباط بالوطن، وما ينبثق عنها من استجابات عاطفية .<sup>(3)</sup>

وتشير دائرة المعارف البريطانية، إلى أن "المواطنة Citizenship " هي علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، متضمنة مرتبة من الحرية وما يصاحبها من مسؤوليات؛ وكذا أشارت أيضاً الموسوعة الدولية، بأن "المواطنة" هي عضوية كاملة في دولة أو في بعض وحدات الحكم. (4)

وقد عرّفها أحد الباحثين<sup>(5)</sup> بقوله: "المواطنة" انتماء إلى تراب تحده حدود جغرافية، فكل من ينتمون إلى ذلك التراب، بغض النظر عن توجهاتهم أو ديانتهم، هم مواطنون يستحقون ما يترتب على المواطنة من الحقوق والواجبات التي تتظم بينهم؛ فالرابطة بينهم، كما يقول الباحث، رابطة علمانية تخضع لمقياس النفع والضرر، ولا بد من انصهار المواطنين جميعاً بكل أديانهم ومذاهبهم ومللهم وجذورهم العرقية في هذه الرابطة الترابية المشتركة.

وذهب آخر (6) إلى تعريف "المواطنة" ، بأنها تعني الانتماء إلى بلد وإلى شعب يقطن هذا البلد. وهي صلة أو رابطة قانونية بين الفرد والدولة التي يقيم فيها بشكل ثابت، وتحدد هذه العلاقة عادةً حقوق الفرد في الدولة وواجباته تجاهها.

# ثانياً: مفهوم المواطنة في التاريخ:

إذا افترضنا أن المواطنة هي مفهوم، فإن هذا الافتراض يستدعي تحولات في فقه اللغة والمصطلحات، كما يستدعي إلى مآلات جديدة في استخدام هذا المفهوم خلال التجربة التاريخية؛ فقد اصبح هذا المفهوم جزءاً لا يتجزأ من ثقافة اجتماعية وسياسية جديدة يعبر عنها بالحداثة، كما أصبح جزءاً من نظام سياسي يقوم على الدستور ودولة تقوم على السيادة الوطنية، وجزءاً من حقوق وواجبات ينتظم فيها الفرد بموجب عقد اجتماعي يضحى فيه الفرد مواطناً في دولة. وقد تحقق ذلك في التاريخ الغربي الحديث بظهور بعض الحركات مثل "حركة الإصلاح الديني" التي عملت على فصل الداين عن السياسة، فضلاً عن ظهور بعض "الرؤى العقلانية"، التي ساهمت في بلورة نظرة جديدة إلى الإنسان وإلى السياسة؛ ناهيك بالطبع عن ظهور "أدبيات التنوير" و "أفكار الثورة الفرنسية" و "إعلان الاستقلال الأمريكي عام 1776م" و "إعلان حقوق الإنسان عام 1789م". (7)

وهذا يعني، أن "مفهوم المواطنة" يحيل إلى شرطين أساسيين هما: الدولة، والوطنية؛ وما يتبع ذلك من إقامة مجتمع وطني يقوم على اختيار إرادة العيش المشترك بين أبنائه، والتوازن بين الحقوق والواجبات، وبين الخاص والعام، وبين الخصوصيات والشمول.

إن الغرض من الذهاب إلى التاريخ، إنما هو من قبيل التقاط لحظة التحول في استخدام هذه المفردة(أي المواطنة) في العربية، وإكسابها معنى ودلالات مستعارة من حقل دلالي لمصطلحات التجربة الغربية، التي اتسمت بكونها تجربة ذات طابع ديمقراطي وطني؛ وهذا يعني ان استخدام هذه المفردة في العربية قد حمل دلالات مفهوم اله "Citizenship" الآنف الذكر.

وعلى ما يبدو أن بداية استخدام المعنى الاصطلاحي لـ "مواطن، ومواطنة" في المشرق العربي، كان مع بداية إعلان الدساتير في كل من مصر والعراق وسورية ولبنان، حيث اكتسبت المواطنة المحلية للمقيمين على أرض كانت عثمانية تأسيساً على مبدأ الجنسية المستمد من بنود معاهدة "لوزان" ، التي نظمت أوضاع البلدان العربية الخاضعة آنذاك للحكم العثماني.(8)

هذا ما يتعلق ببدايات استخدام "مفهوم المواطنة" في الفترة الحديثة، ولو أننا عدنا بالتاريخ إلى فتة سابقة على هذه الفترة ألا وهي بدايات التاريخ الإسلامي لوجدنا أن مفهوم المواطنة لم يكن يثير نقاشاً أو جدلاً طيلة الفترة التي عاش فيها المسلمون مع غيرهم. فقد كانت حياتهم مستقرة وقائمة على التعايش السلمي مع الآخرين، لا سيما وأن الاعتبارات الإسلامية في معاملة المسلمين لغيرهم كانت واضحة ومبنية على الالتزام الدقيق بمعاييرها وتطبيق مقتضياتها. (9)

<sup>&</sup>lt;sup>3</sup> العامر (عثمان بن صالح)، مفهوم المواطنة وعلاقته بالانتماء، مقال منشور في مركز آفاق للدراسات والبحوث، الرياض، (د.ت).

<sup>4</sup> نقلاً عن المرجع نفسه.

<sup>5</sup> بن الغنوشي(راشد)، حقوق المواطنة، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الطبعة 2، الولايات المتحدة الأمريكية، 1993م، 10−11.

<sup>6</sup> عثمان (رنا صبحي سعيد)، أحكام الجنسية والمواطنة من منظور إسلامي، رسالة ماجستير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2011م، ص44.

<sup>7</sup> كوثراني (وجيه)، المواطنة المفهوم والمسار التاريخي، مجلة التسامح، العدد) : 15)، وزارة الأوقاف العمانية، 2006م، ص3، 7.

<sup>&</sup>lt;sup>8</sup> المرجع نفسه، ص4.

و للمزيد من التفصيل حول حقوق المواطنة في الإسلام، انظر: الغنوشي(راشد)، حقوق المواطنة حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي، المعهد العالي الفكر الإسلامي، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي، العدد: (9)، تونس، 1401هـ –1981م، ص 59 –63 ؛ وانظر أيضاً: الزحيلي(وهبه)، مفهوم المواطنة في المنظور الإسلامي، مجلة التسامح، العدد: 15، وزارة الأوقاف العمانية، مسقط، 2006م، ص 11-41.

أمّا في وقتنا الحاضر، فقد أصبحت "المواطنة" من أهم المشكلات المثرة للجدل في مجتمعات ودول المشرق العربي، وهو ما سيتضح من خلال إلقاء الضوء على مآلات استخدام هذا المفهوم داخل المجتمع اليهودي في فلسطين المحتلة.

# المحور الثاني: المواطنة في الفكر الديني اليهودي:

لقد عرف التاريخ القديم في فترة ما قبل الميلاد حضارات عديدة لم تختلف هذه الحضارات في موقفها من المساواة، إذ تشير التركيبة الطبقية التي صيغت في وقتها المجتمعات القديمة إلى أن فكرة المساواة بحقيقتها الإنسانية لم تكن معروفة ولا متداولة في تشريعاتهم ولا في نظمهم. وتؤكد الحقائق التاريخية على إن فكرة الاستعلاء الجنسي، التي تُعد المنبت الأساسي للتفريق بين البشر وفرزهم وتصنيفهم إلى طبقات غير متساوية في الحقوق، إنما ارتوت من منابع العديد من الديانات الوضعية أمثال: "البرهمية البوذية الكنفوشيسية الزرادشتية" لتعمق نزعة الاستعلاء وتعميق التركيبة الطبقية وتقر بفكرها وممارساتها بأن البشر غير متساوين. (10)

وإذا كانت هذه الدراسة تسعى إلى إبراز "مفهوم المواطنة" الذي تُعد المساواة إحدى أهم ركائزه، فإن الإيمائة التاريخية العاجلة لأهم العوامل والقوى المؤثرة في تشكيل المساواة معنى المساواة يؤكد على أن بعض العقائد السماوية التي نالها التحريف على يد حفنة من معتنقيها قد كانت سبباً في فكرة التمييز والتفريق والاستعلاء. فمن المعلوم أن تاريخ الديانة اليهودية قد استند على بعض المفاهيم والأفكار الدينية، التي أصبحت ركيزة من ركائز الاعتقاد في التراث الديني عند اليهود؛ الأمر الذي جعل هؤلاء اليهود يعتقدون أن تاريخهم بمجمله إنما يدور حول هذه المفاهيم، وأبرز هذه المفاهيم هي: "فكرة العهد" و "الاختيار" و "أرض الميعاد". ويبدو أن هناك علاقة ما بين هذه المفاهيم الثلاثة ومفهوم المواطنة موضوع الدراسة، وهذا ما سيتم التعرف عليه فيما يأتي.

إن الناظر إلى المفهوم الأول من هذه المفاهيم وهو "فكرة العهد"،، يجد أن محرري كتاب اليهود المقدس (العهد القديم)، طالما أكدوا على أن جميع العهود التي قطعها الرب مع إبراهيم (عليه السلام) بخصوص وراثة الأرض المقدسة قد اقتصرت على ذريته من زوجته "سارة"، واستثنوا من ذلك ولده "إسماعيل" من زوجته "هاجر "(أنظر: تك17:9-12؛ 21:9-18)؛ وهذا يعني – أن وراثة الأرض المقدسة سيكون مقتصراً فقط على أسلاف اليهود من نسل إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب؛ بل أنه ومن أجل إعطاء هذه العهود مكانة بارزة في الديانة اليهودية، فقد ربطها هؤلاء المحررون بالعهود السابقة المقطوعة مع آدم ونوح (عليهما السلام). (11)

والغرض من ذلك على ما يبدو هو رغبة محرري التوراة بجعل وراثة هذه الأرض مقصورةً على اليهود دون العرب ممن هم من نسل إسماعيل(عليه السلام). وهذه الرغبة تتجلى بصورة واضحة في موضع آخر عندما ذهبوا إلى جعل الذبيح "إسحاق" وليس "إسماعيل": «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ»(تك 2:22)(2:2)، هذا بالرغم من أن كلمة "وحيدك" الواردة في النص أعلاه تشير إلى "إسماعيل" وليس إلى "إسحاق" كونه الابن البكر لإبراهيم(عليه السلام) في ذلك الوقت، وأنهم أدخلوا اسم "إسحاق" بداعي التحريف والتبديل.

وهذ يعني أن هؤلاء المحررين كان يحاولون فصل الرابط التاريخي الذي يربط العرب بالعبرانيين من ناحية، ومحاولة جعل النبوة قاصرة فقط على بنى إسرائيل دون غيرهم .(13)

ولو أننا انتقانا إلى "مفهوم ألاختيار"، الذي يُعد هو الآخر ركيزة من ركائز الاعتقاد في التراث الديني اليهودي، لوجدنا أن محرري التوراة قد ركزوا رواياتهم حول اختيار الرب للشعب اليهودي وحده دون غيره من شعوب الأرض؛ فبدأوا بتأصيل نسبهم فأرجعوه إلى سام بن نوح(عليه السلام)(أنظر: تك10)، بينما في المقابل أرجعوا شعوباً أخرى ذات أصول سامية وتتكلم اللغة السامية إلى أصول غير سامية كما فعلوا ذلك مع "الكنعانيين" أصحاب أرض كنعان (فلسطين الحالية): " وكانَ بَنُو نُوح الَّذِينَ

العامر (عثمان بن صالح)، المواطنة في الفكر الغربي المعاصر دراسة نقدية من منظور إسلامي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 19، العدد: (1)، 2003م، -35.

<sup>11</sup> أنظر (تك: 8:9 -13).

<sup>12</sup> من الجدير بالإشارة، أن الباحث اعتمد على الترجمة العربية لكتاب العهد القديم والعهد الجديد، طبقاً للنسخة الصادرة عن دار الكتاب المقدس، القاهرة، 1981ء.

<sup>13</sup> أحمد (محمد خليفة حسن)، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم، القاهرة، 1416هـ - 1995م، ص 26.

خَرَجُوا مِنَ الْفُلْكِ سَامًا وَحَامًا وَيَافَثَ. وَحَامٌ هُو أَبُو كَنْعَانَ "(تك9:18)، ولم يكتفوا بذلك بل نسبوا لهم لعنة الخطيئة: "فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عُوْرَةَ أَبِيهِمَا وَمَشْيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَمَشْيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لِإِخْوَتِهِ» (تك22:9-25).

هذا وقد أرجع أحد الباحثين (14) سبب ذلك إلى العداوة الحاصلة بين بني إسرائيل والكنعانيين، لا سيما في الفترة التي شهدت مقاومة شعوب أرض كنعان لمحاولات احتلال بني إسرائيل لأرضهم في عهد يشوع فتى موسى (عليه السلام).

ثم انتقل هؤلاء المحررون بعد ذلك ليجسدوا بدايات تاريخ الجماعة اليهودية مع بداية هجرة إبراهيم(عليه السلام) من أور الكلدانيين في العراق إلى الأرض المقدسة أو "أرض الميعاد"(تك1:1)(1:1)، التي أصبحت هي الأخرى من ركائز الاعتقاد في التراث الديني عند اليهود، ليعلنوا بعد ذلك عن أحقيتهم بتلك الأرض من خلال رواية "الميثاق" الذي قطعه الرب مع إبراهيم(عليه السلام): "في ذلك النيوم قطع الرب مع أبرًام مِيثَاقًا قَائِلاً: لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذه الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْقُرَاتِ. الْقِينِيِّينَ وَالْقَرْمُورِيِّينَ وَالْمَوريِّينَ وَالْمَوريِّينَ وَالْمَوريِّينَ وَالْمَوريِّينَ وَالْمَوريِّينَ وَالْمَوريِّينَ وَالْمَائِينَ وَالْمَائِيْنَ وَالْمَائِوْنِيِّينَ وَالْمَائِيْنَ وَالْمَائِيْنَ وَالْمَائِيْنَ وَالْمَائِيْنَ وَالْمَائِيْنَ وَالْمَائِيْنَ وَالْمَائِينَالِيْنَ وَالْمَائِيْنَ وَالْمَائِيْنَ وَالْمَائِيْنَ وَالْمَائِيْنَ وَالْمَائِيْنَ وَالْمَائِيْنَ وَالْمَائِينِيْنَ وَالْمَائِينَ وَالْمَائِينَ وَالْمَائِينَ وَالْمَائِينَ وَالْمَائِينَ وَالْمَائِينَ وَالْمَائِينَ وَالْمَائِينَ وَالْمَائِينَ الْمَائِينَ وَالْمَائِينَ وَالْمَائِينَ المَائِينَ الْمَائِينَ وَالْمَائِينَ الْمَائِينِ الْمَائِينِ الْمِيْنِ الْمِيْنِيْنَ وَالْمَائِينَ المَائِينِ الْمَائِينَ الْمَائِينِ وَالْمَائِينَ المَائِينَ الْمَائِينَ الْمِيْنِ الْمَائِينِ أَنْمِيْنِ وَالْمَائِيْنِ الْمَائِيْنِ الْمَائِيْنَ الْمِيْنِيْنِ الْمَائِيْنِ الْمِيْنِيْنِ الْمَا

والناظر إلى تلك النصوص يجد أن تلك الأرض كانت مسكونة من قبل العديد من الشعوب التي استوطنتها قبل مجيء إبراهيم (عليه السلام)، لاسيما "الكنعانيون"، الذين تسمت الأرض باسمهم.

على أية حال، فإن الناظر إلى ما أوردته نصوص التوراة حول طريقة معيشة هؤلاء المهاجرون في هذه الأرض، يجد أنهم عاشوا في أطراف مدنها وبمعزل عن ساكنيها(16). وعلى ما يبدو فإن تلك العزلة كانت سبباً في ظهور "فكرة الاختيار"، التي أصبحت من الخصائص التي ميزت اليهود عن بقية الشعوب الأخرى التي عاشوا بين ظهرانيها طيلة تاريخهم(17)

وهكذا وما أن عقد الرب عهداً مع إبراهيم (عليه السلام) بوراثة تلك الأرض حتى جعل لذلك العهد علامة وهي "الختان"(تك1:1-1-1). وقد أعطى الختان للديانة اليهودية بعداً قومياً على اعتبار أنه يمثل علامة أخرى تميز اليهود عن غيرهم الختان الشعوب الأخرى(18) ، بل ربما "كان سبباً في زعمهم بأنهم شعب الله المختار "(19) ؛ فنحن نقراً في سفر الخروج (43:12-44) من الشعوب الأخرى وقال الرّبُ لِمُوسَى وَهَارُونَ: هذه فَريضَةُ الْفِصْح: كُلُّ ابْنِ غَرِيبٍ لاَ يَأْكُلُ مِنْهُ. وَلكِنْ كُلُّ عَبْدِ رَجُلٍ مُبْتَاعٍ بِفِضَةٍ تَخْتِثُهُ ثُمَّ يَأْكُلُ مِنْهُ ... وَأَمَّا كُلُّ أَغْلَفَ فَلاَ يَأْكُلُ مِنْهُ ". وهذا يعني أن التوراة قد حرمت الغُلف (غير المختونين) من أكل أضحية عيد الفصح، وهو ما يشير ضمناً إلى أن ذبيحة الفصح إنما ترمز إلى توحد بني إسرائيل وتفردهم بصفة الختان دون غيرهم من الشعوب الأخرى: (لأنّكَ شَعْبٌ مُقدَّسٌ لِلرَّبٌ إلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ (تث\$1:21) ؛ هذا على الرغم من أن الدلائل الأثرية تشير إلى استخدام الشعوب القديمة لهذه العادة في فترة سابقة على استخدام العبرانيين لها . (20)

وهكذا وبناءً على ما سبق، نجد أن نصوص العهد القديم أكدت بما لا يدع مجالاً للشك على حقيقتين: أولهما - تميز اليهود عن غيرهم من الشعوب الأخرى؛ وثانيهما - أن الديانة اليهودية التي يعكسها لنا محررو العهد القديم لا تقوم على أساس مفهوم المواطنة، بل على العكس من ذلك فهي تدعو إلى الفصل والتفرقة بين اليهود وبين غيرهم من بني البشر.

# المحور الثالث: المواطنة في الفكر الصهيوني:

قبل البدء بالحديث عن "مفهوم المواطنة في الفكر الصهيوني"، وجدنا من الضروري بمكان إعطاء نبذة مختصرة عن

<sup>&</sup>lt;sup>14</sup> عبودي(هنري. س)، معجم الحضارات السامية، جروس برس، لبنان، الطبعة الثانية، 1411هـ - 1991م، ص 669.

<sup>&</sup>lt;sup>15</sup>Bright(John), A History of Israel, Printed By Offset In Great Britain, Published by SCM, London, 1966, P. 17.

<sup>&</sup>lt;sup>16</sup> أنظر على سبيل المثال لا الحصر ما ورد في سفر التكوين (6:12-9؛ 1:13-18؛ 1:16-16 وغيرها).

<sup>17</sup> علي (فؤاد حسنين)، إسرائيل عبر التاريخ – في البدء، دار النهضة العربية، القاهرة، (د. ت)، ص55.

<sup>.280</sup> עמ' (5) אבן שושן אברהם), המלון החדש, כרךראשון, הוצאת קרית ספר בע"ם, ירושלים (5) אבן אבן אברהם).

<sup>19</sup> مقار (شغيق)، قراءة سياسية للتوراة، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، (د. ت)، ص 45.

<sup>&</sup>lt;sup>20</sup> للمزيد من التفصيل حول استخدام الشعوب القديمة لعادة الختان، انظر: الهواري (محمد)، الختان في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الهاني للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1987 م، ص4- 10؛ وانظر ايضاً: أحمد(مجيد جاسم محمد)، علاقة بني إسرائيل بأرض كنعان في ضوء أسفار العهد القديم وأثرها في توجيه الفكر الصهيوني دراسة تاريخية تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، 2015م، ص16-69.

استخدامات مصطلح - "الصهيونية" - في الفكرين الديني والسياسي؛ فقد نُسبت لفظة "الصهيونية الاترار" في الفكر الديني اليهودي إلى جبل "صهيونالا" وهو أحد الجبال الأربعة التي أقيمت عليها مدينة القدس. وهذا الاسم غير عبراني، أطلقه أصحاب الأرض (الكنعانيون) على قلعتهم الحصينة الواقعة على الرابية الجنوبية الشرقية من مدينتهم "أورشليم"؛ إلا أن الملك داود غير هذه التسمية فأطلق على الحصن اسم "مدينة داود"، وهو ما تؤكده النصوص الواردة في سفر صموئيل الثاني(9،7:5). ونعتقد أن تغيير الاسم هنا، لم يكن إلا محاولة من قبل محرري ذلك السفر لتغيير الاسم الكنعاني، بما يتلاءم وتوجهاتهم وأهدافهم الرامية إلى تغيير جغرافية الأرض، لتتحول من أرض تابعة إلى أهلها الأصليين إلى أرض تابعة الإسرائيل ومملكتها الناشئة في ذلك الوقت.

أمّا في المصطلح السياسي فتعرّف الصهيونية على أنها "حركة سياسية تهدف إلى إعادة "مجد إسرائيل" المفقود بإقامة دولة يهودية في فلسطين، وهي تمزج بين السياسة والدين وتتخذ الدين ركيزة تقوم عليها في دعوتها السياسية (<sup>(22)</sup>) فالعقيدة الصهيونية، كما يقول "روجيه غارودي" (<sup>(23)</sup> لا تعرف التماسك والترابط إلا من خلال الرجوع إلى الديانة اليهودية، وأن حذف بعض المفاهيم مثل: "الشعب المختار" و "الأرض الموعودة" سيؤدي إلى انهيار أساس الصهيونية.

إنه من المعلوم أن الحقبة التاريخية التي شهدت تشرذم اليهود وتفرقهم بين بلدان العالم وتوطنهم في "جيتوات" (24) عدة، جعلهم يتأثرون بحركات التمرد والثورات التي جرت في القرن الثامن عشر وخاصة الثورة الفرنسية، إذ بادرت تلك الثورة بعلمنة الدولة وفصلت الدين عن الدولة، فكان ذلك الخطوة الأولى نحو نشوء الدولة العصرية الحديثة. وكان لا بد أن يقابل ذلك علمنة مماثلة من جانب اليهود، وحسم لمسألة الدين القومي والقومية الدينية، وقد تحقق ذلك من خلال سعي القادة والزعماء الصهاينة إلى تطوير منهج عقلاني يهدف إلى إزالة جميع الخصائص القومية عن اليهودية بغية إقامة علاقات سوية بين اليهود والمجتمعات التي يعيشون فيها؛ فدعوا إلى إلغاء كافة الصلوات اليهودية التي تعكس السمة القومية اليهودية، وطالبوا باستبدال اللغة العبرية بالألمانية في جميع الطقوس الدينية، كما قام أصحاب فكر اليهودية الإصلاحية من جانبهم بإجراء تحويرات جوهرية في صيغ الصلوات لتشير إلى الخلاص العام للبشرية بدلاً من إشارتها للخلاص القومي لليهود، ثمّ غيروا مفهوم "الماشيح הَرَبُّلُّ (أي المسيح المنتظر) ليصبح دعوة إلى بداية عصر إنساني ينعم فيه الجميع بالعدل وزوال مظاهر الظلم. وهكذا تحولت اليهودية، في المسيح المنتظر) ليصبح دعوة إلى بداية وأخلاقية ليس فيها خصائص قومية تميز اليهود عن سائر الأمم (25). فكان أن صاحب نظر الإصلاحيين اليهود، إلى عقيدة دينية وأخلاقية ليس فيها خصائص قومية تميز اليهود عن سائر الأمم و25). فكان أن صاحب ذلك كله، انعتاق سياسي لليهود ومنحهم الحقوق الدينية والسياسية، التي جعلت منهم مواطنين لهم حقوق وعليهم واجبات. وقد المتدت هذه الفترة لعقود حتى تم تكوين وإنشاء الكيان الصمهيوني ومن ثم احتلاله للأراضي الفلسطينية. (26)

ومهما يكن من أمر، فإن أساس المساواة في أكثر الدول ديمقراطية إنما يعتمد على مبدأ "المواطنة" التي يتمتع بها السكان داخل حدود أمّةٍ ما. ويعني مفهوم المواطنة هذه الحقوق المرتبطة بعوامل معينة مثل المكان والإقامة داخل الدولة؛ ولكن في الكيان الصهيوني المحتل للأراضي الفلسطينية، فإن الهوية القومية وليس مكان الولادة هي العامل الأساس المحدد لحقوق المواطنة. وتبعاً لذلك، فإن تعريف "الأمة" لا ينطبق على الأفراد المقيمين في أراضيها المحتلة، بل على أساس انتمائهم العرقي، أو على أساس علاقات الدم بين اليهود في كافة أنحاء العالم؛ ولعل النص الذي يورده لنا سفر التكوين(2:24-4) يؤكد على تلك الحميمية بين

<sup>&</sup>lt;sup>21</sup> الهراوي(عبد السميع)، الصهيونية بين الدين والسياسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م، ص150.

<sup>&</sup>lt;sup>22</sup> الهاشمي(عابد توفيق)، عقيدة اليهود في تملك فلسطين وتفنيدها قرآناً وتوراةً وإنجيلاً وتاريخاً، مكتبة أم القرى، القاهرة، 1990م، ص30.

<sup>&</sup>lt;sup>23</sup> غارودي (روجيه)، فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة قصي أتاسي - ميشيل واكيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1991م، ص 153 – 154.

<sup>&</sup>lt;sup>24</sup> "الجيتو ג'ינו". كلمة أصلها محاط بكثير من الشكوك. ومن المحتمل أنها استخدمت للمرة الأولى في عام 1516م، لوصف حي من أحياء مدينة البندقية في إيطاليا، والذي يقع بالقرب من مسبك لصهر المعادن يسمى "جيتو، أو جتو"، إذ كان هذا الحي محاطاً بأسوار وبوابات، وكان مخصصاً لإقامة الطائفة اليهودية. وهناك من وجدوا أصلاً لهذه التسمية في العبرية، من الفعل "جت يرئ"، التي تعني "طلاق، أو انفصال"؛ ولكن بلا شك، فإن مصدر هذه الكلمة هو كلمة "الجيتو" التي كانت تُطلق على معمل سبك المعادن الآنف الذكر. للمزيد من التفصيل انظر: الشامي (رشاد عبدالله)، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، عالم المعرفة، العدد 102، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986ه، ص 16.6.

<sup>&</sup>lt;sup>25</sup> مهدي(عبير سهام)، أرض الميعاد في الفكر الإسرائيلي المعاصر، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمّان، 2012م، ص213؛ وانظر أيضاً: الحافي(عامر)، التأويل والشأن العام عند الفرق اليهودية المعاصرة، مقال منشور في مجلة الحوار اليوم، 8/ 10/ 2011م، 30: 11 www. Alhiwartoday.net .

<sup>&</sup>lt;sup>26</sup> المسيري(عبد الوهاب)، التجانس اليهودي والشخصية اليهودية، القاهرة، العدد: ( 747)، 2004م، ص9.

العبرانيين أنفسهم من خلال إرسال إبراهيم (عليه السلام) لعبده "اليعازر الدمشقي" إلى عشيرته في "حاران" لينتقي زوجةً لابنه إسحاق من غير بنات الكنعانيين: " لاَ تَأْخُذَ زَوْجَةً لابْنِي مِنْ بَنَاتِ الْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ أَنَا سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ، بَلْ إِلَى أَرْضِي وَإِلَى عَشِيرَتِي تَذْهَبُ وَتَأْخُذُ زَوْجَةً لابْنِي إسْحَاق.

هذا المبدأ تم تشريعه في وثيقة إعلان الاستقلال، وفي قانون العودة الصادر سنة 1950م؛ فإنه وبموجب قانون حق العودة، فإن اليهود الراغبين باكتساب المواطنة في دولة اليهود (إسرائيل) غير مضطرين للوفاء بإجراءات الهجرة على شاكلة معظم الدول الأخرى في العالم، إذ يُنظر إليهم على أنهم "عائدون" إلى بلادٍ هي من حقهم، فيُطلق على هؤلاء اسم "لاالأدى" بمعنى "القادمين" أي "الصاعدين إلى الأرض المقدسة التي خصصها الرب لهم" وهذا الاستخدام لهذه اللفظة "لاالأدى"، إنما يشير ضمناً إلى المضمون الأيديولوجي لهذا المصطلح(27). وبالطبع فإن هذه الهجرة غير ممكنة بالنسبة لغير اليهود.(28)

أما بالنسبة للفلسطينيين الذين يشكلون الخمس من مجموع السكان، فقد تم تحديد معايير المواطنة الخاصة بهم في تشريعات أخرى، مثل قانون المواطنة لعام 1952م، الذي يجعل من الاستحالة بمكان بالنسبة لأي فلسطيني خارج حدود ما يسمى اليوم بالسرائيل"، مهما كان مكان ميلاده أن يطلب المواطنة "الإسرائيلية"، إلا إذا ما كان مسجلاً على أنه متواجد داخل الدولة خلال أو بعد حرب 1948م بقليل.

أمّا المواطنين الفلسطينيين الذين تمكنوا من البقاء داخل حدود الدولة الجديدة والبالغ عددهم نحو 150 ألف، ممن يحق لهم المواطنة الإسرائيلية – فإن هذه المواطنة تبدو أنها أقل شأناً من المواطنة اليهودية في كافة مناحي الحياة تقريباً؛ بل أنه حنى المواطنين الفلسطينيين، الذين يعرفون رسمياً باسم "عرب إسرائيل"، والذين يتمتعون في الظاهر بمساواة رسمية: جوازات سفر "إسرائيلية"، و"الحق في التصويت في الانتخابات". ولكن مع ذلك، فإن هذه المواطنة الرسمية هي مواطنة مشوهة، لاسيما وأن هؤلاء المواطنين يخضعون لتمييز عنصري واضح. (29)

إن الناظر إلى الكيفية التي يتم من خلالها إدارة شؤون الدولة في الكيان الصهيوني، يجد أنها خالية من شيء اسمه "دستور دائم". ويبدو أن الدوافع الحقيقية لعدم وضع دستور دائم للكيان الصهيوني لا يمكن فهمها إلا من خلال الوضع السياسي الصهيوني بوجه عام من جهة، وميزان القوى بين الأحزاب السياسية من جهة أخرى، وقد عبر عن هذه الحقيقة ممثلو هذه الأحزاب عندما شدّدوا على ضرورة أن يكون الدستور مطابقاً للتوراة، وإلا فلا يكون هناك مسوعاً لوجوده. كما إن وضع أي دستور مدون شامل، يستوجب بالضرورة أن ينص فيه على حقوق الأفراد وحرياتهم الشخصية والمساواة بينهم دون تمييز بسبب لون أو دين أو عرق. وهنا تظهر إشكالية تتمثل باستئصال الكيان الصهيوني للسكان العرب المتبقين في فلسطين المحتلة وإكراههم على الهجرة أو الاستيلاء على ممتلكاتهم، وهو ما يعني فقدان المسوغ من وضع هذا الدستور، لاسيما وأن الصهاينة يحرصون كل الحرص على تأكيد الطابع اليهودي للدولة دون النظر إلى بقية أبناء المجتمع. (30)

إن الناظر لما ورد في أسفار العهد القديم فيما يتعلق بالعنصرية اليهودية تجاه غير اليهود وعدم شمول هؤلاء بأن يكونوا من جماعة الرب(أي من جماعة بني إسرائيل)، وذهبنا تحديداً إلى سفر النثنية(2:23-3-8-8) لوجدنا هذه النصوص التي تقول: «لاَ يَدْخُلِ ابْنُ زِنِي فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ لاَ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. لاَ يَدْخُلْ عَمُونِيٍّ وَلاَ مُوابِيٍّ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُمْ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. لاَ تَكْرَهُ أَدُومِيًّا لاَنَّهُ أَخُوكَ. لاَ تَكْرَهُ مِصْرِيًّا لاَنَّكَ كُنْتَ نَزِيلاً فِي أَرْضِهِ. الأَوْلِاَدُ الَّذِينَ يُولِدُونَ لَهُمْ فِي الْجِيلِ النَّالِثِ يَدْخُلُونَ مِنْهُمْ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ». وهذا يعني: أن ابن الزنا لا يدخل في جماعة بني إسرائيل حتى الجيل العاشر، بينما لا يدخل العموني والموآبي جماعة بني إسرائيل إلى الأبد، في حين أن المصري والأدومي يدخلون جماعة بني إسرائيل في الجيل الثالث(أي أن الأب جيل، والابن جيل، والحفيد جيل، وهكذا...). وإذا نظرنا إلى ما قبل ذلك،

<sup>&</sup>lt;sup>27</sup> المسيري(عبد الوهاب محمد)، الأيديولوجية الصهيونية دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، العدد60، الكويت، ديسمبر 1982م، ص202.

<sup>28</sup> التقرير السنوي لانتهاكات حقوق الأقلية العربية الفلسطينية في إسرائيل للعام 2005، المؤسسة العربية لحقوق الإنسان، القدس، (د . ت). https: ll www.arab48.com

<sup>29</sup> الجمل (يحيى)، جذور العنصرية الصهيونية ومصيرها، مقال منشور في مجلة البيان، 4/ 6/ 2015.

https://www. Albayan. Ae, articles

<sup>30</sup> السعدي(غازي)، الاحزاب والحكم في اسرائيل، دار الجليل للطباعة والنشر، عمان، 1988م، ص 52-53.

وتحديداً إلى ما ورد في الإصحاح التاسع عشر من السفر نفسه لوجدنا هذا النص: «مَتَى أَتَيْتَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُ إِلَهُكَ، وَامْنَلَكْتَهَا وَسَكَنْتَ فِيهَا، فَإِنْ قُلْتَ: أَجْعَلُ عَلَيَّ مَلِكًا كَجَمِيعِ الأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلِي. فَإِنَّكَ تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلِكًا الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُ إِلَهُكَ. مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِكَ تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلِكًا. لاَ يَحِلُ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ عَلَيْكَ رَجُلاً أَجْنَبِيًّا لَيْسَ هُو أَخَاكَ» (تث14:17-15). أي أن الشخص الذي يكون ملكاً على بني إسرائيل يجب أن يكون منتسباً لهم، ومن المعلوم أن النسب في اليهودية هو للأم وليس للأب.

وتأكيداً لما سبق، نجد إصراراً من قبل رئيس الوزراء الصهيوني "بنيامين نتانياهو" على أن الكيان الصهيوني(إسرائيل) دولة الشعب اليهودي، أو وطن الشعب اليهودي، وهو ما يكشف أن الاعتراف بيهودية "دولة إسرائيل"، ليس مجرد اعتراف بهويتها اليهودية فحسب، وإنما يمس الأرض نفسها، بمعنى أنها حق للشعب اليهودي وملك له لا ينازعه في ذلك الفلسطينيون. وبهذا تصبح "ارض إسرائيل" إلغاء لفلسطين، ولأرض فلسطين، ولحقوق الشعب الفلسطيني التاريخية.(31)

أمّا الغريب في هذا الأمر، فإنه لا يوجد لدى الكيان الصهيوني تعريف محدد وواضح لـ "من هو اليهودي ؟" حتى اللحظة، رغم مرور أكثر من 72 عاماً على قيام ذلك الكيان، إذ "تؤكد لنا الوثائق التاريخية على أن ديفيد بن غوريون (أول رئيس وزراء لهذا الكيان) حاول الامتناع عن مناقشة القضية علانية، والعمل على إيجاد مخارج بالاتفاق مع المتدينين، في الأروقة المغلقة، في حين عمدت مؤسسات الدولة على اتخاذ إجراءات شديدة تمنع النساء غير اليهوديات المتزوجات من يهود من الهجرة إلى "إسرائيل"، منذ إقامتها، وحتى نهاية السبعينيات بصياغة حدود الهوية الداخلية، من خلال مناقشة من هو اليهودي، ومن يحق له الهجرة، ومن لا يحق له، فإن سنوات الثمانينيات شهدت بدايات تحويل النقاش من المسار الداخلي (إشكالية علماني - ديني)، إلى المسار السياسي - القومي (إشكالية فلسطيني - إسرائيلي)، إذ بدأت تطغى على أسئلة من هو اليهودي؟ أسئلة ما هي الدولة اليهودية الديمقراطية؟

لقد تراوحت الاقتراحات الصهيونية لحل وسط حول من هو اليهودي؟ بين إلغاء بند القومية نهائياً من بطاقة الهوية، والتمييز بين اليهودي و "اليهودي بقومية متبناه أو مكتسبة. ولكن من المفيد معرفة رفض بن غوريون لمحو بند القومية اليهودية من الهوية، والاكتفاء بتعبير "إسرائيلي" إذ يقول: لقد ولد هنا جيل ليس متديناً بغالبيته. وإذا كتبنا إسرائيلي فقط، وليس يهودي فهنالك خطر. إذ يجب عليه أن يعرف أنه يهودي... ويجب أن نزرع في قلبه إدراك أننا قبل كل شيء يهود... ولذلك لا يجوز أن يكتب في بطاقة الهوية فقط إسرائيلي، بل يجب أن يكتب يهودي.(32)

ومهما يكن من أمر، فقد صادقت الحكومة الصهيونية نهاية عام 2010، على تعديل المادة 5(ج) من قانون المواطنة بعد نقاش عاصف، وحسب التعديل " يتوجب على كل من يطلب الحصول على حق المواطنة، وهو ليس يهودياً، أن يصرّح بالولاء لدولة إسرائيل، كدولة يهودية وديمقراطية". ويبدو أن لذلك التعديل عدة أسباب منها: ما يتعلق بـ "الهاجس الديموغرافي"، الذي يتضح جلياً من خلال خطاب رئيس وزراء دولة اليهود "بنيامين نتنياهو" في مؤتمر هرتسليا للعام 2004م إذ يقول (33): "توجد لدينا مشكلة ديموغرافية، وهي لا تتركز بشأن العرب في فلسطين، ولكنها تتركز في عرب إسرائيل، حيث ستصل نسبة السكان العرب في الدولة إلى ما بين (35%-40%)، خلال السنوات القادمة، وذلك سيلغي الدولة اليهودية التي ستتحول إلى دولة ثنائية القومية، مما سيمس بالنسيج الديمقراطي من وجهة نظرنا".

ومن الأسباب الأخرى ما يتعلق بـ "إلغاء حق العودة"؛ إذ أن الإعلان عن يهودية "دولة إسرائيل"، سيحبط ويجهض حق العودة للفلسطينيين، فحق العودة يعني بحسب الكيان الصهيوني محو دولته المزعومة على الاراضي الفلسطينية المحتلة. ناهيك بالطبع عن أن هذا التعديل يُعد ورقة اختبار لوضع حد للصراع العربي – الصهيوني؛ فالمواطنة الصهيونية تعني إعلاء شأن اليهود المغتصبين للأرض الفلسطينية على حساب العرب(من مسلمين ومسيحيين)، وهو ما يعني زيادة وتكريس مفهوم التمييز والعنصرية، الذي يتنافى مع مفهوم المواطنة الحقيقية.

ويضاف إلى ما سبق فإن هذا التعديل إنما يؤكد على هدف الحركة الصهيونية في إقامة وطن قومي لليهود؛ إذ أن من لم يعتقد بأن للشعب اليهودي لحق في وطنه فهو عنصري، ومن لم يعتقد بأن الوطن اليهودي يمتلك الشرعية الدولية فهو مخادع،

<sup>&</sup>lt;sup>11</sup>المشاقبة (تيسير)، يهودية إسرائيل " ( الأبعاد ... الأسباب ... النداعيات )، دائرة المطبوعات والنشر، عمّان، ديسمبر 2010م http://www.dpp.gov.jo/.html

<sup>&</sup>lt;sup>32</sup> بشارة (عزمي)، دولة يهودية وديمقراطية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سلسلة (دراسات أوراق بحثية)، الدوحة، 2011 م، ص21-22.

<sup>33</sup> نقلاً عن: المشاقبة (تيسير)، المرجع السابق، http://www.dpp.gov.jo/.html

فبدون الاعتراف بإسرائيل كدولة للشعب اليهودي، فإن المشروع الصهيوني سيتلاشى.

وهكذا ومن خلال ما سبق يتأكد لنا، أن أصل الجدل حول ديمقراطية "إسرائيل" ويهوديتها يعود إلى التطابق الكامل بين الدين والقومية فيها. وأن "إسرائيل" هي الوحيدة التي يتم فيها الانتماء إلى القومية، ثم الحصول على المواطنة عبر تغيير الدين، وما الديمقراطية "الإسرائيلية" في نهاية أمرها، إلا نظام أثنوديمقراطي.

كما يتأكد لنا في الوقت ذاته إن الكيان الصهيوني في حقيقته هو كيان استيطاني عنصري توسعي، لا يقوم على فكرة المواطنة، وإنما على أساس التمييز، والفصل بين اليهود وغير اليهود، وأن أساس الصهيونية إنما هو قائم على الفكر اليهودي الذي يقوم على إقصاء واستبعاد البشرية وليس على أساس المواطنة والتعايش السلمي.

### نتائج البحث:

وبعد توصل الباحث للنتائج الآتية:

1- إن فترة احتلال بني إسرائيل لبلاد فلسطين خلال التاريخ القديم، لا تعطي بأي شكل من الأشكال حقاً تاريخياً لبني إسرائيل في هذه الأرض.

2- أن نصوص العهد القديم أكدت بما لا يدع مجالاً للشك على حقيقتين: أولهما- تميز اليهود عن غيرهم من الشعوب الأخرى؛ وثانيهما- أن الديانة اليهودية التي يعكسها لنا محررو العهد القديم لا تقوم على أساس مفهوم المواطنة، بل على العكس من ذلك فهي تدعو إلى الفصل والتفرقة بين اليهود وبين غيرهم من بني البشر.

3- إن المدة التي شهدت إنشاء الكيان الصهيوني، كانت فترة وسط بين عقود "الجيتو" التي عاشها اليهود بين ظهراني الأمم الأخرى في التاريخ القديم، وبين استئصال فكرة المواطنة اليهودية في الوقت الحاضر.

4- إن ديمقراطية "إسرائيل" ويهوديتها يعود إلى التطابق الكامل بين الدين والقومية فيها، وما هذه الديمقراطية، في نهاية أمرها، إلا نظام أثنوديمقراطي.

5- إن الكيان الصهيوني في حقيقته هو كيان استيطاني عنصري توسعي، لا يقوم على فكرة المواطنة، وإنما على أساس التمييز والفصل بين اليهود وغير اليهود، مستنداً في ذلك إلى نصوص دينة ضمنها المحررون اليهود إلى كتابهم المقدس.

6- توظيف الصهيونية لبعض الأفكار الدينية مثل: "فكرة العهد" و "فكرة الأرض الموعودة" و "فكرة الاختيار" كآلية من أجل الاستيلاء على فلسطين ومصادرة حق الشعب العربي فيها.

7- إن أساس الصبهيونية إنما هو قائم على الفكر اليهودي الذي يقوم على الإقصاء والاستبعاد، وليس على أساس المواطنة والتعايش السلمي بين باقى البشر.

# المصادر والمراجع

#### المراجع العربية:

أحمد (مجيد جاسم محمد)، علاقة بني إسرائيل بأرض كنعان في ضوء أسفار العهد القديم وأثرها في توجيه الفكر الصهيوني دراسة تاريخية تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، 2015م.

أحمد (محمد خليفة حسن)، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم، القاهرة، 1416ه - 1995م.

ابن منظور، لسان العرب، الجزء: (13)إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت).

بشارة (عزمي)، دولة يهودية وديمقراطية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سلسلة (دراسات أوراق بحثية)، الدوحة، 2011 م.

بن الغنوشي(راشد)، حقوق المواطنة، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الطبعة 2، الولايات المتحدة الأمريكية، 1993م. الزحيلي(وهبه)، مفهوم المواطنة في المنظور الإسلامي، مجلة التسامح، العدد: 15، وزارة الأوقاف العمانية، مسقط، 2006م.

السعدي (غازي)، الاحزاب والحكم في اسرائيل، دار الجليل للطباعة والنشر، عمان، 1988م.

الشامي (رشاد عبدالله)، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، عالم المعرفة، العدد 102، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986م.

العامر (عثمان بن صالح)، المواطنة في الفكر الغربي المعاصر دراسة نقدية من منظور إسلامي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 19، 190م. العدد: (1)، 2003م.

عبودي (هنري. س)، معجم الحضارات السامية، جروس برس، لبنان، الطبعة الثانية، 1411ه - 1991م.

عثمان (رنا صبحي سعيد)، أحكام الجنسية والمواطنة من منظور إسلامي، رسالة ماجستير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2011م.

على (فؤاد حسنين)، إسرائيل عبر التاريخ - في البدء، دار النهضة العربية، القاهرة، (د. ت). غاروجيه)، فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة قصي أتاسي - ميشيل واكيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1991م.

الغنوشي(راشد)، حقوق المواطنة حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي، المعهد العالي للفكر الإسلامي، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي، العدد: (9)، تونس، 1401هـ –1981م.

الكتاب المقدس، أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس، القاهرة، 1981م.

كوثراني (وجيه)، المواطنة المفهوم والمسار التاريخي، مجلة التسامح، العدد) : 15) ، وزارة الأوقاف العمانية، 2006م.

المسيري (عبد الوهاب)، التجانس اليهودي والشخصية اليهودية، القاهرة، العدد: ( 747)، 2004م.

المسيري (عبد الوهاب محمد)، الأيديولوجية الصهيونية دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد60، الكويت، ديسمبر 1982م.

مقار (شفيق)، قراءة سياسية للتوراة، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، (د. ت).

مهدى (عبير سهام)، أرض الميعاد في الفكر الإسرائيلي المعاصر، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمّان، 2012م.

الهاشمي (عابد توفيق)، عقيدة اليهود في تملك فلسطين وتفنيدها قرآناً وتوراةً وإنجيلاً وتاريخاً، مكتبة أم القرى، القاهرة، 1990م.

الهراوي (عبد السميع)، الصهيونية بين الدين والسياسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م.

الهواري (محمد)، الختان في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الهاني للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 1987 م. اليسوعي(لويس معلوف), المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق ، الطبعة 21 ، بيروت ، 1973م.

#### المواقع الالكترونية

التقرير السنوي لانتهاكات حقوق الأقلية العربية الفلسطينية في إسرائيل للعام 2005، المؤسسة العربية لحقوق الإنسان، القدس، (د.ت) https: ll www.arab48.com

الجمل (يحيي)، جذور العنصرية الصهيونية ومصيرها، مقال منشور في مجلة البيان، 4/ 6/ 2015م.

# https://www. Albayan. Ae, articles

الحافي (عامر)، التأويل والشأن العام عند الفرق اليهودية المعاصرة، مقال منشور في مجلة الحوار اليوم، 2011/10/8م، 30: 11 www. Alhiwartoday.net

العامر (عثمان بن صالح)، مفهوم المواطنة وعلاقته بالانتماء، مقال منشور في مركز آفاق للدراسات والبحوث، الرياض، (د.ت). المشاقبة (تيسير)، يهودية إسرائيل " ( الأبعاد ... الأسباب ... النتداعيات )، دائرة المطبوعات والنشر، عمّان، ديسمبر 2010م http:// www.dpp.gov.jol.html

#### المراجع العبرية

אבן שושן)אברהם, (המלון החדש, כרךראשון, הוצאת קרית ספר בע"ם, ירושלים.1979,

גור(יהודה), מלון עברי, הוצאת דביר, הדפסה עשירית, תל- אביב, תש"ך.

שגיב(דוד), מילון עברי – ערבי לשפה העברית בת זמנו, כרך ראשון,הוצאת שוקן, ירושלים ותל אביב, תשנ"א(1990). תנ"ך: ספרתורהנביאיםוכתובים, לונדון, 1983.

#### المراجع الأجنبية:

Bright(John), A History of Israel, Printed By Offset In Great Britain, Published by SCM, London, 1966. A Dictionary of the Bible, edited by James Hastings, Vol.2, Published by Charles Scribner's Sons, New-York, 1911

# The problem of the concept of citizenship in Jewish religious thought and its implications for Zionist thought (An analytical historical study)

Majeed Jassim Mohammad Ahmad Al-Shue'ibi \*

#### **ABSTRACT**

The concept of citizenship is one of the concepts that received a large portion of the attention of intellectuals and thinkers in the Western world, and was widely circulated by Zionist writers and thinkers, as it represents the nucleus of the Zionist state and an indication of the Zionist entity becoming a state for all its citizens. The political events and developments taking place in the Middle East during the contemporary period have contributed to motivating the Zionists in order to obtain Arab and international recognition of the State of Israel as the state of the Jews, and of course at the expense of the rights of the Palestinian people. Zionists hence, the importance of discussing the concept of citizenship and its implications on the Zionist scene at this historical moment, which witnesses the escalation of voices calling for the need to renew and modernize the concept of citizenship in the Zionist entity, in an invitation to arrange the conditions of the Zionists in a new - old framework based on the renewal of the concept of citizenship.

Keywords: Problematic; understandable; citizenship; thought; religious; Jewish; Zionist.

<sup>\*</sup> University of Anbar, Iraq. Received on 10/1/2020 and Accepted for Publication on 2/6/2020.